مركزية الأخلاق في الفعل السياسي - ماكس فيبر نموذجا

العراجي عبد الكريم، المشرف: الدكتور مصطفى زاوي

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن احمد– وهران2

****

تاريخ الإرسال: 2018/04/05 تارخ القبول: 2018/06/06 تاريخ النشر: 2018/06/30

ملخص:

عالج ماكس فيبر العديد من القضايا الفكرية والسياسية وحتى الفلسفية، ولاسيما الفعل السياسي كمنتج للعلاقات الاجتماعية، لكن فيبر عمل على التنظير للفعل السياسي وفق مرجعية أخلاقية تفرض عليه جملة من المحددات تلزمه على التواصل مع المجتمع وفق مبادئ تضمن الحقوق والحريات للأفراد داخل المجال العام من خلال تبني قناعات ومسؤوليات تساهم في ترسيخ ثقافة التعايش والتحاور والتعالي على الإقصاء والهيمنة الغير الشرعية التي تبرر قيام الأنظمة الشمولية والمستبدة التي تلغي قيم الالتزام المجتمعي والأفعال العقلانية التي تخدم الصالح العام .

الكلمات المفتاحية: الأخلاق؛ الفعل السياسي؛ المجال العام؛ المسؤولية؛ القناعة

Abstract:

Max weber was deeply preoccupied with several intellectual, political and even philosophical issues, especially political act as a source of social relations. His work is theoretically established with referring to ethical background. That obliged him to communicate within the society according to the principles which ensure the rights and liberties for individuals within a public sphere. Through adoption of certain convention and by means of accepting responsibilities which contribute to focusing on the consolidation of a culture of coexistence and constructive dialogue. This can be achieved far from exclusion and domination that justify the establishment of totalitarian and despotic regimes in which all social commitment and relational acts are excluded.

Keywords: Ethics; Political act; Public sphere; Responsibility; Conviction

مقدمة:

يعتبر ماكس فيبر من أهم المفكرين الذين استبسلوا في الدفاع عن الحداثة بوصفها ظاهرة خاصة بأوربا الغربية وهذا الطرح الذي صدر عن فيبر لا ينم عن منطلق إستشراقي محض، وإنما عن قناعات فكرية أوصلت صاحبها إلى نتيجة مفادها أن المناخ الفكري والحضاري الذي كان يسود أوروبا الغربية باعتبارها مجال عرف العديد

من الثورات والحركات الإصلاحية ضد الدوغمائيات الكنسية المتزمتة التي جعلت من الحركة اللوثرية والكالفنية يساهمان في تحويل أوروبا الغربية من خلال حركاتهم الفكرية وتداعياتها على باقي الشعوب الأوروبية التي أصبحت تتقاسم هوية واحدة وهي الحداثة في كل فروعها وأبعادها وتجلياتها.

إن الفكر الفيبيري لم يكن حكرا على السوسيولوجيا فقط بل كان نقطة تواصل بين كل التخصصات التي تلتقي في غاية واحدة وهي الإنسان فالسوسيولوجيا الفيبيرية ما هي إلا نتاج لانشغالات فلسفية كانت تثقل كاهل فيبر الذي استطاع أن يترجم كل أطروحاته الفكرية والفلسفية في سياق إجرائي عملي، وهو الأخلاق كونها مجموعة من القيم والمعاني تترجم إلى سلوكيات وممارسات عملية وفق اطر عقلانية تخدم المجتمع والصالح العام .وبما أن الفكر الفيبيري يتميز بالتعدد من حيث المشارب الفكرية والنظرية حيث أننا نعجز عن تصنيف فيبر في مجال معرفي معين فهو قبل أن يكون عالم اجتماع كان رجل قانون وعالم اقتصاد وفيلسوف مهتم بالأخلاق والحضارة الشرقية .

كل هذه التخصصات التي برع فيها كانت نتيجة لثقافته الدينية الانفتاحية وكونه عاش في سياق ثقافي يسوده مناخ عقلاني قيمي ومعياري.

ومن منظور فكري وفلسفي يعتبر فكر ماكس فيبر عبارة عن مرافعة لا تقبل التنازل في أحقية أوروبا الغربية في كونها المجال أو البيئة الوحيدة التي تحتضن الحداثة والتي أنتجت الدولة الحديثة التي جمعت بين المؤسسات والنظام الرأس مالي الذي قيده القانون والأخلاق والعقلنة.

ومن أجل تفكيك إحداثيات الفكر الفيبيري وجب علينا التقيد بمفهوم واحد من بين المفاهيم المشكلة لفكره السياسي والذي يتميز بالآنية وهو مفهوم الفعل السياسي عند فيبر .وبهذا لا يمكننا فهم الفعل السياسي عند فيبر بمعزل عن الأطر المعرفية التي استقاها هو من التعاليم اللوثرية والكالفنية ولم يحصرها في السياق الفلسفي للأخلاق والمتجسدة في معياري **لابد** أو **يجب** بل دعمها بمعايير الاستقلالية والمسؤولية والعقلانية من خلال علاقة متداخلة ومتناسقة من أجل صياغة فعل سياسي ينسجم مع القيم الأخلاقية للمجتمع الغربي الذي حررته الأنوار الكالفينية.

ويعد مفهوم مركزية الأخلاق هو الرابط بين الفلسفة التي تنظر لمفهوم الأخلاق وعلم الاجتماع الذي يؤطر الفعل السياسي ومن هنا سنعمل على تفكيك وتفسير الإشكالية أو

التالية كيف تساهم الأخلاق في توجيه الفعل السياسي وما هي محدداته من منظور ماكس فيبر ؟

أولا: جينيالوجيا الأخلاق عند ماكس فيبر:

لا يمكن الغوص في أغوار الفكر الفيبيري الذي يستند على الأخلاق والعقلنة la rationalité بدون القيام بعملية مسح جينيالوجي على مستوى المفاهيم التي تبناها فيبر والتي بدورها ساهمت في بناء فكر علمي وأكاديمي يتميز بالراهنية والفعالية.

لذلك، لا يمكننا أن نعتبر فكر فيبر مجرد مجموعة نصوصcorpus. وفي هذا السياق يمكننا استحضار أو استنطاق حركة الإصلاح الديني اللوثرية التي مهدت لبزوغ فجر العقلانية التي كانت بمثابة نهضة دينية ضد القيم الكنسية القروسطية المتزمتة التي جردت الإنسان الأوروبي من إنسانيته وروحانيته .

لم تكن حركة الإصلاح اللوثرية مجرد تمرد ضد هيمنة الكرسي الكنسي الإمبريالي le trône impérial. وكذلك ضد الوصاية الروحية لروما بل تجلت في تثوير القيم الدينية عن طريق التعقل والتفكر في كيفية التعامل مع النص المقدس وكان هذا التعقل متجسد في الفصل بين السلوك والعقيدة لأن المغالاة في العقيدة أفرزت بشكل تلقائي نوع من الفساد الأخلاقي بين رجال الكنيسة وقاموا بتفريغ العقيدة المسيحية من محتواها الإيماني وحصروها في الفضيلة التي كانت تشرع وجود قانون صكوك الغفران.

لم تكن الحركة الإصلاحية اللوثرية الإصلاحية تستند على مرتكز ديني لاهوتي سنة 1517بل كانت تتمتع بدعم سياسي متمثلا في بعض الأمراء على شاكلة أمير هيسي وهو الأمير فيليب وحاكم ساكسونيا الملقب بالحكيم وهذا الدعم كان ينم عن شعور قومي يسعى للتخلص من الهيمنة البابوية لروما[1]

ومن بين العوامل التي ساهمت في إنجاح هذه الحركة الإصلاحية اللوثرية هي تزامنها مع منجزات النهضة كالطباعة التي ساهمت في انتشار الترجمات وبالأحرى ترجمة الإنجيل من اللاتينية إلى عدة لغات كاللغة العبرية والإغريقية والألمانية وكذلك إعادة قراء إنجيل القديس أوغسطين لذلك يمكن القول أن ترجمة لوثر للإنجيل إلى اللغة الألمانية حيث أنه أصبح يعرف بإنجيل لوثر الذي اعتمد على فهم وتفسير الكتاب المقدس أي التفريق

[1] سكوت إتش هندريكس: مارتن لوثر، "مقدمة صغيرة جدا"، تر: كوثر محمود محمد، مراجعة هبة عبد العزيز غانم، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 23.

أو إرساء فكرة الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد من حيث التفسيرات والتأويلات والرؤى أي تفكيك معاني أسفار العهد القديم والعهد الجديد[1] ما أودى بلوثر إلى استخلاص نتيجة تبين أن الإنجيل عندما ترجم إلى اللغة الألمانية اتضح أنه لا ينسجم ولا يتسق مع البنية والمجال الفكري والثقافي الألماني

وهنا يمكن القول أن لوثر عندما شخص دلالات الإنجيل اللاتينية تبين له جليا أنها لا تخدم العقلية الألمانية فهذا الجهد الذي بذله لوثر بين أن الإنجيل باللغة اللاتينية لا ينسجم مع الثقافة الألمانية البروتستانتية التي تجمع بين الأخلاق والعقلنة عكس الكاثوليكية التي تستند على الأخلاق باعتبارها معيار الفضيلة.

هذا الإرث اللوثري كفكر معياري عقلاني ليس فقط قيمي وجد لنفسه إحداثيات من أجل التوسع في المجال الأوروبي بل تجاوز حتى المحيط الأطلسي ساهم في خلق مذاهب ومدارس فكرية عملت على تفعيله لكي يكون أكثر راهنية لذلك كان فيبر من بين الذين حملوا على عاتقهم فكرة التفعيل والتجديد

ثانيا: تجليات الفعل السياسي عند فيبر وفكرة المجال العام:

الفعل السياسي المراد دراسته ليس فقط عمل سياسي متمثل في سلوك إنساني بل هو جملة من القيم والمعايير التي تنظر للمجال العام كفضاء تفاعلي على مستوى الرؤى والممارسات فالفعل السياسي في الفكر السياسي الفيبيري يتجلى في حرفة أو امتهان فكرة السياسية.

ومن التجليات التي نراها في مشروع فيبر الفكري هي تناوله لعدة أفكار تساهم في بناء نسق تفكيري عقلاني لممارسة السياسة بهدف خلق لحمة مجتمعية تعترف بمركزية الدولة وشرعية استعمالها للعنف فهو يناقش ضرورة استقلالية السياسة عن الشمولية والانفراد بالقرار الذي يتعلق بالمساءل العمومية اعتمادا على عملية إعادة تقسيم السلطة[2].

فلقد نظر للسياسة وفق مقاربة سوسيولوجية تستند على منطلقات فلسفية تمجد الأخلاق والقيم الحداثية العقلانية بمعنى آخر لقد نادى ماكس فيبر بضرورة أخلقة

[1] المرجع نفسه، ص53

[2] Max weber, Le savant et le politique, suivi de essai sur le sens de la neutralité axiologique, ENAG édition, Alger.1991, P: 53

القوة التي تسمح ببناء أنموذج فكري يمكننا من فهم السلوك السياسي الذي يخلق تبعات تتسم بالإيجاب كونها تعمل على تأسيس مجال سياسي عقلاني تسوده نظام أخلاقي معياري يقبل بتواصل الذهنيات السياسية بغية تحقيق انسجام مجتمعي يقبل بالاعتراف والتمايز الفكري بين الفاعلين الذين يحملون على عاتقهم فكرة المشروع السياسي المجسد لسيادة الدولة واستقلالية المجتمع .

ولو قمنا بقراءة المشاريع الفلسفية الكبرى سيظهر لنا جليا مدى صلابة الموقف الفيبيري تجاه ضرورة تطبيق الأخلاق في المجال السياسي وفق أنساق معرفية ترسخ فكرة المنطلق الأخلاقي للفعل السياسي .

ومن بين التجليات التي تظهر لنا العمق الأخلاقي للفعل السياسي عند فيبر هي فعالية كفاءته الفكرية في التوفيق بين الثنائية التالية التي تعد بمثابة خيمة للتوسط بين الدولة والمجتمع والتي كذلك تعمل على تحقيق المصالح العامة وهي ثنائية التوفيق بين التوظيف العمومي للأخلاق والتوظيف العمومي للعقلانية ودمجهم في مشروع واحد وهو الفعل السياسي الذي يجسده السياسي أو رجل الدولة.

إن المجال العام الذي نسعى إلى التنقيب عن حفرياته الفكرية والثقافية والاجتماعية هو كتلة تداخلية وتفاعلية من حيث الحقوق والواجبات والأدوار والمواقع فهذا المجال هو النسق السياسي بكل ما يحمله من اختلافاته وروافده الاجتماعية والسياسة لا يمكن أن نحدد ملامح الفعل السياسي عند فيبر بمعزل عن العلاقة التي تربط بين الفرد والنظام السياسي الذي يحكمه وفي ظل هذا العلاقة التي تنسج بين الفرد وبيئته السياسية تتجلى في فن رجال السياسة في الترويج لأفكارهم وإيديولوجيتهم ومدى قابلية الأفراد على طاعة هذه النخب الفاعلة سياسيا لكن هذه الطاعة التي تصدر عن أفراد المجتمع تكون نابعة من عنصر عقلاني وأخلاقي وهو إيمانهم بشرعية السلطة السياسية كنظام[1]. باعتباره نسق عقلاني يقر بمركزية العقلانية في الممارسة السياسية والإيمان بالسلطة السياسية هو إيمان معلل بقناعات عقلانية تسمح للفرد أن يتبنى مواقف تمكنه من الجمع بين دور الطاعة والرقابة في نفس الوقت ومن هنا يمكن القول أن إيمان الأفراد بشرعية من يسيطرون عليهم سياسيا يبرهن على القدرة العقلانية للأفراد على استنباط مواقف عملية مستمدة من قناعات نظرية تضمن بقاء

[1] لوران فلوري، "ماكس فيبر" ترجمة، محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008، ص:87

شرعية السلطة كنفوذ مجتمعي وبقاء طاعة الفرد كإرادة واعية تكون طرف في علاقة اجتماعية تؤطرها أفعال سياسية.

وتعد العقلانية السياسية لدى الأفراد أهم عامل من عوامل إنتاج الإيمان بالشرعية كالتزام إرادي من طرف الفرد تجاه منظومته السياسية وهذا الالتزام بدوره يحدد مجالات السيطرة للسلطة السياسية كونها لا تتعدى حريته وإرادته وهذا الوعي المتبادل للأدوار لكلا الطرفين يساهم في سير عملية البناء الاجتماعي.

والفعل السياسي الذي نسعى لتفكيكه في سياق الفكر الفيبيري هو أنه لا يتجسد فقط في المجال السياسي كما هو معروف في الديمقراطيات التشاركية الغربية التي تستند على فلسفة سياسية نظرت لأفعال سياسية ساهمت في بلورة الوجود السياسي للإنسان الغربي على الصعيد المعنوي وهو الحرية وكذلك الصعيد الإيديولوجي المتمحور في الأفكار والقناعات.

فالفعل السياسي هو إشراك العقل سياسيا في المساءل اليومية والمجتمعية مما يساهم في تأسيس نظرية سياسية تعد بمثابة المنهج الذي يحدد هوية المنطق السياسي الفيبيري المتكون من عدة نقاط أساسية تتمثل في نقده للبيروقراطية الإمبريالية التوسعية التي تقصي العقل في المجال السياسي الذي يفتقد للمناخ الاجتماعي الديمقراطي[1] .

والفكر السياسي عند فيبر هو فكر يجمع في طياته تيارين كلاهما يتعارض مع الآخر كونه يجمع بين تيار الحداثة الذي يجسد مركزية العقل وما بعد الحداثة الذي ينظر لضرورة الأخلاق في الممارسة السياسية في بعدها المجتمعي المعقد من حيث تداخل العلاقات بين أفراد المجتمع. ونمط العلاقات المجتمعية يحدده مبدأ استعمال القوة في تسيير المساءل العامة وكل ما يتعلق بالقضايا السياسية وهذا ما يعطي فرصة للفكر السياسي الفيبيري أن يكون بمثابة منبر إيديولوجي يتحمس لفكرة الدفاع عن سياسة القوة الممثلة في هيئة الدولة والتنظير لفكرة الشرعية التي تنتج الطاعة والقبول الممثل في المجتمع .

ومن بين التجليات الحرفية أي الأصلية للفعل السياسي في المجال العام هي تلك المعايير التي تتشكل في توظيف العمل الفكري في المجال العام أي الاستعمال العمومي

[1] فيليب راينو، "ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث" ط1 ترجمة محمد جديدي منشورات الاختلاف،الجزائر 2009ص:224

للعقلانية باعتبارها آلية تساهم في تفعيل مقومات العمل السياسي الذي يسمح بصهر كل الأفكار والقناعات السياسية في بوتقة واحدة وهي تشكل معالم إرادة جماعية واعية تضمن وجود التعايش المجتمعي يكرس مبدأ الالتزام ويجسد منطق تبني أخلاق المسؤولية[1].

ثالثا:المحددات الأخلاقية للفعل السياسي الفيبيري:

ما يميز ماكس فيبر عن سابقيه هو أنه تمكن من طرح تصورات تساهم في تبيئة الفعل السياسي في الوسط الأكاديمي لأنه يرى بأن الفعل السياسي هو إلتزام علمي محض تحكمه مرجعيات فكرية وفلسفية تخدم الصالح العام والمجتمعي وهذا التصوير الفيبيري مرده إلى الفكر أو المنطق الكانطي الذي ناشد بضرورة الاستعمال أو ما يعرف بالتوظيف العمومي للعقل وبمعنى أصح هو مدى قدرة السياسي في توظيف أفكاره وتصوراته في بلورة قضايا سياسية عامة تناقش كل ما يتعلق بالمجال السياسي ومعالجته لمفاهيم تتولد من رحم معرفي يلامس الواقع السياسي والاجتماعي لكن بمعزل عن التحيزات الذاتية والفردية .

لذلك ركز ماكس فيبر على أن أهم ميزة للفعل السياسي هي فكرة الحياد الأخلاقي التي يجب أن يتقيد بها السياسي وهي فكرة التخصص من حيث التكوين والممارسة حيث لا يجوز للسياسي أن يمارس خطابه الإقناعي في وسط علمي ولا يمكن للأستاذ الجامعي أن يصرح بأفكاره داخل المدرج وأمام طلبته[2] فهذه الشروط التي يتقيد بها كلا الطرفين تساهم في خلق نوع من الرقابة الأخلاقية على الفعل السياسي وهذا النوع من الرقابة يحد من الديماغوجية الشعبوية التي تلغي الكفاءات المعرفية والسياسية .

وبناء على هذا الطرح فإن المنطلق الأكسيولوجي أو بمعنى أدق المعنى الإيتيقي للفعل السياسي يندرج في قدرة السياسي على تبني قناعات فكرية وفلسفية تلزمه عدم استعمال المغالطة والتضليل في خطاباته بغية استمالة عقول الأفراد والمجتمع بهدف تمرير أفكار رجعية تحد من حريات المجتمع.

---

[1] ماكس فيبر فيبر: العلم والسياسة بوصفها حرفة: اعداد ولفغانغ مومسن .ولفغانغ شلوشتر.بريجيت مورغنبرود، ترجمة، جورج كتورة، مراجعة وتقديم: رضوان السيد: ط1، المنظمة العربية للترجمة : توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2011، ص:106

[1] سيرج بوغام "ممارسة علم الاجتماع": ترجمة منير السعيداني: ط1، المنظمة العربية للترجمة: توزيع مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت كانون الأول (ديسمبر) 2012، ص:193

والمعيار الأخلاقي في هذا السياق يتجسد في مدى قدرة السياسي في التعريف والتسويق لمعتقداته السياسية بطرق علمية وعقلانية تساهم في ترسيخ مفهومي الشرعية والرضا تجاه السلطة السياسية القائمة وعن طريق التوفيق أو التوليف بين مفهومي العنف والحق اللذان يسمحان بتوفر الصفة القانونية على نموذج الدولة التي تحتكر العنف وفق أطر قانونية تنسجم مع الحق العام والمجتمعي للفرد السياسي .

هذه المحددات كلها تساهم في وضع معايير المحددة للسلوك السياسي داخل بوتقة واحدة وهي الأخلاق التي تعمل على بلورة الخصوصيات الأخلاقية للفعل السياسي.

ومن بين هذه الخصوصيات تتجلى لنا خاصية الترافع plaider التي تعبر عن قناعات وأفكار يتبناها السياسي لكي يحقق غايته السياسية في المجتمع والمعيار الأخلاقي في الترافع يكمن في مدى قدرة السياسي الدفاع عن أفكاره وفق منطق حجاجي إيتيقي لكي يحقق المصلحة العامة عن طريق الإقناع العلمي والعملي والابتعاد عن التضليل والمغالطة والاعتماد على البرهنة التي تحقق الإقناع.

والامتحان الذي تتعرض له الأخلاق يكمن في التعارض بين مصالح السياسي ومصالح المجتمع حيث يمكن للسياسي أن يعتمد إستراتيجيات تروج لمشروعه السياسي دون تضليل أو إغراء وهذا بدوره ينتج حكم أخلاقي مجتمعي يرضى ويقر بشرعية السياسي كسلطة حاكمة ومنظمة للمجتمع[1] فهذه الخصوصيات تضمن تحقيق التواصل والتعايش السياسي بين الأفراد.

ومن بين المحددات التي تساهم في صياغة الفعل السياسي هي:

1-واجب التواصل[2]، وهذا العنصر لا يتحقق إلا بالتقيد بالأخلاق داخل المجال السياسي التي تعمل على إرساء وتجسيد عنصر التواصل بين الأفراد تحت مفهوم يسمى بالتبادلية السياسية .

التي تكون عبارة عن علاقة بين طرفين وهذا الواجب التواصلي يكون نتاج لثمرة فكرية وهي إدراك الحقوق والواجبات والأخلاق في مثل هذه البيئة لا تتسم بالطابع التبادلي لأنها تتجسد في المبادرة والالتزام

[1] فيليب برو:علم الاجتماع السياسي، تر محمد عرب صاصيلا: ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، 1998ص:460

[2] إمام عبد الفتاح إمام، «الأخلاق والسياسة"، دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2002.، ص: 83

فهذا التقيد بالواجب يعمل على تفعيل التواصل العام في صميم المجال السياسي الذي يندرج ضمن العلاقة بين المجتمع والجهاز السياسي المتمثل في الدولة ومع نجاح فكرة التواصل التي تمليها فكرة الواجب المؤكد على البعد الأخلاقي للفعل السياسي يمكن تحقيق فكرة تقسيم العمل السياسي المبني على روح الشرعية والرضا المجتمعي والفردي تجاه الهيئة الحاكمة

وكذلك من بين المحددات التي تساهم في صياغة الفعل السياسي هي:

2- أخلاق المسؤولية: التي تعد بمثابة المرجعية الفكرية والأخلاقية للفعل السياسي بهدف إنتاج أنماط من الأفعال السياسية التي ترسخ الرضا والإجماع بين الأفراد حول كل ما يتعلق بالشأن العام .

وأخلاق المسؤولية او كما تعرف باللغة الألمانية ب: « **Machtethik** » هي موقف سياسي تفرضه الأخلاق باعتبارها سلوك سياسي يفرضه الظرف وهي تنصهر في بوتقة فعالة وعملية تتطابق مع أخلاق النجاح من حيث العمل السياسي والالتزام وهذا من خلال تحقيق عنصر الإقرار بالنجاح أو الهزيمة في العمل السياسي .

ومن بين المعالم الفكرية للمسؤولية الأخلاقية التي تتجسد عمليا وفعليا في قدرة السياسي[1] أو من يمارس الفعل السياسي على إصدار أحكام أخلاقية على الأفعال التي يصدرها من يشاركوه العمل السياسي وفق أحكام معيارية نزيه تخلق نوع من الرضا والإجماع داخل المجال السياسي .

وهي تعمل على خلق فكرة أو مفهوم التأقلم بين الأخلاق والممكن في سياق المسؤولية الأخلاقية للفعل السياسي والتجسيد الفيبيري لهذه الفكرة لا يكون إلا في السياسي الذي يكون بمثابة رجل الفعل **l'homme d'action**الأن رجل السياسة الذي يتبنى فكرة أخلاق المسؤولية له اعتقاد مفاده أن تحقيق عظمة الدولة والحفاظ على مصالحها لا يكون إلا بالشعور بروح المسؤولية والحفاظ على هويته السياسية[2]وانتماءه لصفة رجل الدولة وليس رجل طائفة أو فئة اجتماعية معينة .

[1] -Hannah Arendt: Responsabilité et jugement, Traduit de l'anglais (États-Unis) par Jean-Luc Fidel.Petite Bibliothèque Payot édition 2005,p: 54

[2] JACQUELINE RUSS, CLOTILDE LEGUIL: La pensée éthique contemporaine, que sais-je ?Puf, Quatrième édition P: 21

والمسؤولية للرجل السياسة هنا تكون مصدر قوة أخلاقية للفعل السياسي الذي ينص على تحمل نتائج الأفعال السياسية داخل المجال العام المتمثل في الدولة ومؤسساتها وهيئات المجتمع المدني هذه الصفات التي يتحلى بها رجل السياسة تمكننا من استخلاص رؤية أو فكرة توضح لنا بأن أخلاق المسؤولية هي مداخل من المداخل النظرية الفيبيرية التي تجسد النسق الرمزي للمعتقدات والقيم والقناعات التي يتقاسمها الأفراد من أجل تفعيل فكرة الوازع الأخلاقي بين أفراد المجتمع السياسي وهذا الوازع تكون قناته الوحيدة هي الفعل السياسي وهذه المعايير كلها تساهم في تجسيد مسؤولية سياسية أخلاقية مجتمعية تعمل على تحقيق الاستقرار والثبات والديمومة للديمقراطية التشاركية .

ومن بين المحددات التي تساهم في تفعيل الفعل السياسي على الصعيد الفعلي هي

3- **أخلاق القناعة**[1] التي تنظر لمفهوم "الإنسان السياسي الأصيل " الذي ينطلق من عقيدة فكرية تتسم بمركزية أخلاق القناعة التي تحارب كل الإيديولوجيات المغالطة والميكيافيلية وتتبنى أفكار سياسية ذات طابع تصريحي من خلال قدرة الإنسان السياسي الأصيل على تبني منطق واضح منافي للتضليل السياسي والإيديولوجي .

لأن أخلاق القناعة هي بمثابة إطار فكري أو منهج عقائدي يرفض تلويث غايات الفعل السياسي بواسطة وسائل مدنسة وهذا النوع من القناعة الأخلاقية يعطي للفعل صفة القداسة التي تفرض الرفض الفعلي لكل أشكال النفاق والتمرد على القيم المجتمعية ورفضها الجذري والقطعي لفكرة البطلان واللامسؤولية داخل المجال السياسي أي أنها تتميز بالطرح العلماني للسياسة بمعنى ممارسة العمل السياسي بمعزل عن المزايدات الأرثوذوكسية الدينية الراديكالية التي تمارس التكرار المتزمت للدوغمائيات الكنسية القروسطية

إن هذا النوع من القناعة يعمل على تكرسي ثقافة الأصالة السياسية التي تناهض آلية الجمع بين التناقضات بغية تحقيق مصالح سياسية فردية ضيقة لا تخدم الصالح العام ولا تتسم بالأفق المجتمعي المجسد لروح التعايش .

كل هذه الركائز الفكرية والأخلاقية التي يرتكز عليها الفعل السياسي المنطوي تحت لواء أخلاق القناعة التي تعمل على بناء منهجية سياسية وعلمية وفي إطار يسمح بعقلنة

[1] فيليب راينو،"ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث،المرجع السابق، ص:255

الفعل الذي يستند على مبدأ وهو إقصاء كل ما هو لا معقول ولا أخلاقي كأن نعترف مثلا الاعتقاد بتحول المسيحية إلى إيديولوجيا سياسية وهذا كله منافي لأخلاق القناعة التي تعتقد في مشروع سياسي وفكري يكون الضمير الأخلاقي هو مرجعيته.

ومحاولة الربط بين أخلاق القناعة وأخلاق المسؤولية تكون في بوتقة واحدة وهي العقلنة الأخلاقية التي تفرض علينا مفاهيم فيبيرية معقدة تتميز بأنماط قيمية تسمح بتشكل فضاء كوني سياسي وعقلاني أخلاقي .

وهذا الربط لا يكون عشوائيا أو اعتباطيا بل هو مؤسس ومبني على فكرة الأصالة التي تحاول أن تجمع بين أخلاق القناعة التي تنطلق من العقلانية الأخلاقية المطلقة وأخلاق المسؤولية التي ترتكز في ممارساتها السياسية على الوعي بالفعل .

إن هذه المحددات التي قمنا بتشفير مضامينها وفق معايير النقد والتحليل توحي بان ماكس فيبر هو مفكر وفيلسوف فريد من نوعه كونه جمع بين الحداثة المتجسدة في مركزية العقل وما بعد الحداثة المتجسدة في روح الأخلاق وتطبيقها عمليا .

فهو لا ينادي بضرورة تحطيم العقل أو تقويضه لكنه سعى إلى استنباط الأخلاق من الحداثة باعتبارها نسق عقلاني ولقد تجاوز مفهومي القطيعة والرفض إزاء العلاقة القائمة بين العقلانية والأخلاق بل وظف أو استحدث مفهوم التكيف والتوليف بينهما لكي يستسيغ فكر سياسي مستنير يضمن البقاء والاستمرارية للإنسان الذي يحمل عاتقه مشروع الكونية السياسية الأخلاقية .

ونحن في هذه المحاولة التي تعد بمثابة تساؤل ابيستيمولوجي حول المشروع الفيبيري نكاد أن نلامس حقيقة مفادها أن ماكس فيبر ومن خلال طرحه الأخلاقي للعقلنة أن استطاع أن يحرر العقل الأداتي من قيوده الحداثية التي تتجاوز القيم الأخلاقية الأنسنية وتكرس مركزية العقل ففلسفة فيبر هي ليست فلسفة معارضة للأنوار بل هي منقحة لأفكاره وتعمل على تصحيح مسارها التاريخي التي يرتكز على حلقة أساسية وهي الإنسان المتحرر والمستنير.

هذا الزخم الفكري الذي خلفه فيبر يعطيه صفة التفرد والقدرة على الفهم والاستنباط والجمع بين كل العلوم التي تنصهر في بوتقة واحدة وهي الإنسان فنلاحظ انه وفق في الجمع بين علم الاجتماع والفلسفة وفلسفة التاريخ النقدية التي تتبعت مسار المعرفة عبر العصور والحضارات واللاهوت الذي سعى إلى عقلنة الإلهام الديني وكان مولع

بالإستشراق

لأنه غاص في أغوار الفكر الشرقي الذي كانت من ثمراته حضارة الهند والصين.

وهذا لم يعطه صفة التعصب أو التحيز المتزمت للحضارة الغربية لأنه كان يقر بوجود الفكر الشرقي الذي نظر للفضيلة والحكمة وقيم التسامح والاعتراف والتواصل وهذه المنجزات الفيبيرية التي ساهم في بلورة الفكر الأخلاقي التطبيقي كانت نتاج مجهود استنباطي عمل على استنتاج الواقع من خلال قراءة الأفكار واستنطاق المفاهيم وهذا يتجلى لنا في كيفية تعامل ماكس فيبر مع الإرث الكانطي حيث عمد فيبر على عملية إعادة زرع مفاهيمي**Transplantation conceptuelle**للجهاز التفكيري الأخلاقي الكانطي المبني على فكرتي الوعي والحرية اللذان يشكلان مبدأ المسؤولية[1] في كل تمظهراته المجتمعية والسياسية

وهذا التعامل يتجسد في محاولة فيبر بناء بنية عقلانية للفعل الأخلاقي وتحقيقه في فكرة الفعل السياسي فلقد اهتم بفهم الأخلاق عن طريق تتبع الأسباب والدوافع التي تسير الفعل السياسي المبني على الدوافع[2] ومحاولة فيبر لفهم هذه الدوافع لخصها في سؤال محوري وهو ماهو الدافع الأخلاقي للفعل السياسي؟والمصدر الأخلاقي للفعل السياسي يكون نابع من الإحساس بالواجب تجاه المجتمع.

والفعل السياسي يكون بمثابة تصرف أخلاقي يتقيد بفكرة الالتزام العقلاني وهذا الالتزام يقوم بخلق أو إنتاج عدة تبعات من بينها تحقيق التواصل والتعايش المجتمعي ومنطق الاشتراك في المجال العام أو ما يعرف بالفضاء السياسي المبني على هوية فكرية وأخلاقية تخلق نوه من التواصل الذواتي وتنشر الحوار البناء المؤسس على النقاش الذي يسمح بنشوء ميكانيزمات تضمن عملية تفاهم العقول وتفاعلها من أجل بلورة مشروع سياسي أخلاقي يحقق الصالح العام ويسعى لاحتواء تناقضات المجتمع وفق معايير أخلاقية تعتمد على تقسيم الأدوار داخل الفضاء السياسي .

والأخلاق في سياق مبحثنا هي بمثابة المنارة التي يهتدي بها الفعل السياسي في ممارساته باعتبارها مركز توجيه وقيادة للمنطق السياسي.

خاتمة:

[1] Claude-Henry du Bord: La philosophie tout simplement , Éditions Eyrolles paris 2007.p: 460

[2] غيل واربورتون،"الفلسفة الأسس"،ترجمة، محمد عثمان، مراجعة سمير كرم، ط1 الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت، 2009 ص:74

نجت الأخلاق إلى حد ما في تنوير العقل الحداثي وعملت على تعبيد الطريق له لكي تخرجه من براثن العقلانية المتزمتة التي بالغت في التعدي على مركز الكون ألا وهو الإنسان بكل ما يحمله من رسالة حضارية ومنجز كوني وحضاري .

فلقد كانت مركزية العقل التي تجسدت في عنجهية الرأسمالية وعربدة التقنية وتلاعبها على الوجدان الإنساني وحصرت الإنسان في قالب استهلاكي لا يقبل التحرر أو التمرد على الحضارة الحداثية الرأس مالية التي انتصرت للعقل على حساب الوجدان .

ومن هنا جاءت الأخلاق كمخلص للإنسان الذي عاني ويلات الاغتراب والقهر المعنوي والخلاص الأخلاقي تجلى في الفضاء السياسي العام الذي كانت الدولة هي من تجسده كواقع لذلك عمدت الأخلاق على خلق أدوات تعمل على رقابة وضبط الفعل السياسي الذي يبرر الهيمنة واستعمال العنف الشرعي للدولة وعملت على إنتاج نسق سياسي أخلاقي وعقلاني يقبل بفكرة التعايش والتواصل وممارسة الفعل السياسي عن قناعة ومسؤولية .

وهذا الفعل السياسي المستنير الذي يهتدي إلى طريق الالتزام المجتمعي والعمل العام والتحيز للموضوعية والمعيارية لا يمكنه أن يتجلى للعيان أو يتحقق على ارض الواقع لو لم يرتكز على مرجعية ثابتة واختزاله لعدة مركزيات في مركزية واحدة وهي الأخلاق كمنظومة قيم ومعايير تحقق الممكن الذي يضمن البقاء للجميع والعيش المشترك في فضاء واحد يقبل الاختلاف لا الخلاف ويتقبل الحوار والنقاش ويقصي التطرف والتزمت فهذا الممكن السياسي والمجتمعي لا يمكن له أن يحقق إلا بوجود فعل سياسي خاضع لمركزية أخلاقية .

قائمة المراجع:

1. سكوت إتش هندريكس: مارتن لوثر، "مقدمة صغيرة جدا"، تر: كوثر محمود محمد، مراجعة هبة عبد العزيز غانم،ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، .القاهرة 2014 .
2. لوران فلوري، "ماكس فيبر" ترجمة، محمد علي مقلد ط1دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2008
3. فيليب راينو، "ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث" ،ط1 ترجمة محمد جديدي منشورات الاختلاف،الجزائر 2009
4. 4-ماكس فيبر فيبر: العلم والسياسة بوصفهما حرفة: اعداد ولفغانغ مومسن .ولفغانغ شلوشتر.بريجيت مورغنبرود.ترجمة، جورج كتورة .مراجعة وتقديم: رضوان السيد: ط1،المنظمة العربية للترجمة : توزيع مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2011
5. سيرج بوغام "ممارسة علم الاجتماع": ترجمة منير السعيداني: ط1، المنظمة العربية للترجمة: توزيع مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت كانون الأول (ديسمبر) 2012
6. فيليب برو:علم الاجتماع السياسي تر: محمد عرب صاصيلا: ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1998
7. إمام عبد الفتاح إمام، "الأخلاق والسياسة"، دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2002.

8. نغيل واربورتون، "الفلسفة الأسس"، ترجمة، محمد عثمان، مراجعة سمير كرم، ط1 الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009

9. -Hannah Arendt: Responsabilité et jugement, Traduit de l'anglais (États-Unis)

10. par Jean-Luc Fidel.Petite Bibliothèque Payot édition 2005

11. -JACQUELINE RUSS, CLOTILDE LEGUIL: La pensée éthique contemporaine, que sais-je ? Puf, Quatrième édition

12. ¨Claude-Henry du Bord: La philosophie tout simplement, Éditions Eyrolles paris 2007

-Max weber, Le savant et le politique, suivi de essai sur le sens de la neutralité axiologique, ENAG édition, alger.1991